نحو ترشيد الصحوة ١١



الشيخ محمد بن صالح العثيمين

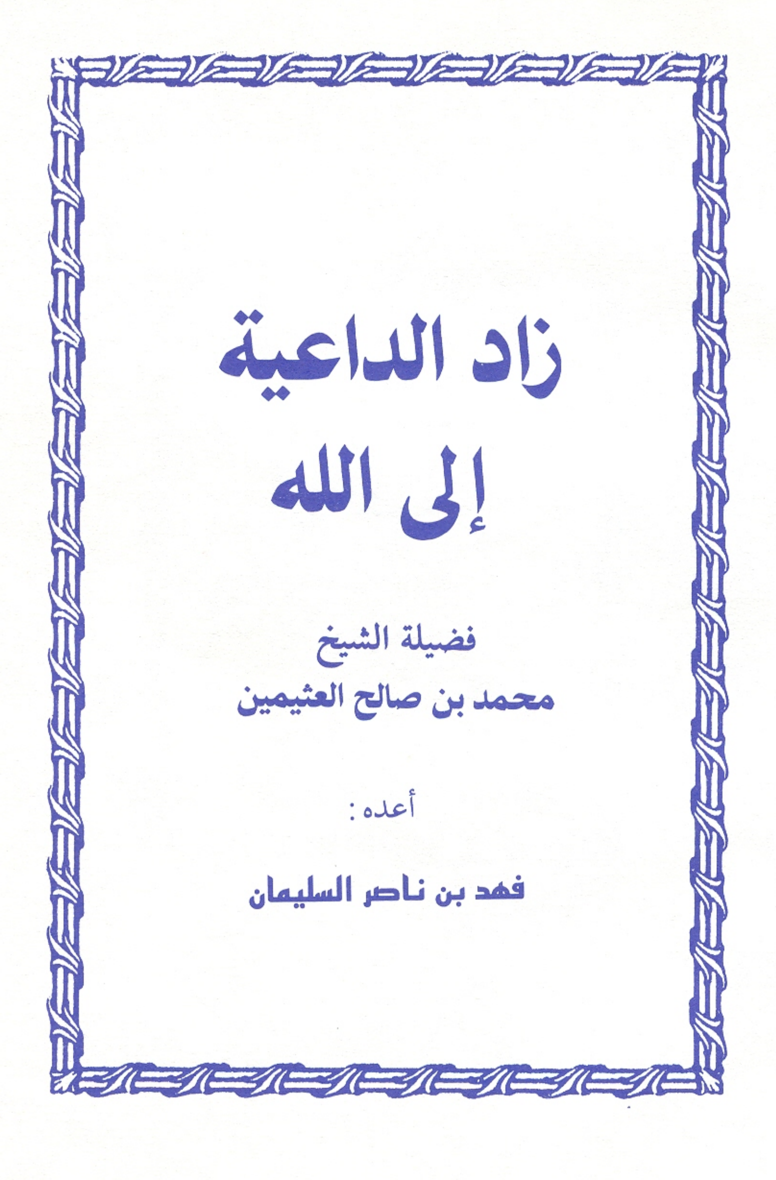


زاد الداعية إلى الله

أعده:

فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان

دار الوطن للنشر



زاد الداعية إلى الله

فضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

أعده :

فهد بن ناصر السليمان



الطبعة الثالثة
١٤١٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلـه إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهُدىٰ ودين الحقِّ ليُظهره على الدين كلِّه، فبلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاد، وترك أمته على محجة بيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، وأسأل الله عز وجل أن يجعلني وإيَّاكم من أتباعه باطنًا وظاهرًا، وأن يتوفانا على ملته، وأن يحشرنا في زمرته، وأن يدخلنا في شفاعته، وأن يجمعنا به في جنّات النعيم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصدِّيقين، والشُّهداء والصالحين.

* **أما بعد:**

فأيها الأخوة: إنه ليسرُّني أن ألتقي بإخواني المسلمين هنا[1] وفي أي مكان آخر يُرجى منه الخير، ونشر هذا الدِّين، لأن الله تعالى أخذ على كل من أعطاه علمًا، أخذ عليه ميثاقًا بما أعطاه من العلم أن يبينه للناس ولايكتمه كما قال الله تعالى: **﴿وإذا أخذ الله ميثاقَ الذينَ أُوتوا الكتابَ لَتُبَيِّنُنَّه للناس ولاتكتمونه﴾**، [سورة آل عمران، الآية: ١٨٧]. وهذا الميثاق الذي أخذه الله ليس وثيقةً تكتب ويشاهدها الناس، ولكنها وثيقة تعلم بما أعطى الله صاحبها من العلم، فإذا أعطاه الله العلم فإن هذه هي الوثيقة التي واثق الله بها هذا الرجل أو هذه المرأة التي أعطاها الله علمًا، فعلى كل من عنده علم أن يبلغ ماعلمه من شريعة الله سبحانه وتعالى في أي مكان وفي أي مناسبة.

* **أيها الأخوة**: إن موضوع محاضرتنا هذه: «**زاد الداعية إلى الله عز وجل**» والزاد لكل مسلم هو مابينه الله عز وجل في قوله: **﴿وتزودوا فإنّ خيرَ الزاد التقوى﴾** [سورة البقرة،

---

(١) جامعة الملك عبدالعزيز جدة.

الآية: ١٩٧]. فزاد كل مسلم هي تقوى الله ـ عز وجل ـ التي كرر الله ـ تعالى ـ ذكرها في القرآن أمرًا، وثناءً على من قام بها وبيانًا لثوابه، وغير ذلك من أساليب الكلام: **﴿وسارِعوا إلى مغفـرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ أعدَّت للمتقين الذين ينفقون في السَّراءِ والضَّراءِ والكاظمين الغيظَ والعافين عن الناس والله يحبُّ المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسَهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفرُ الذنوبَ إلا الله ولم يُصرِّوا على مافعلوا وهم يعلمون أُولئك جزاؤهم مغفـرةٌ من ربهم وجنـاتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعمَ أجرَ العاملين﴾** [سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣ ـ ١٣٦]..

* **أيها الأخوة الكرام**: ربما تقولون: ماهي التقوى؟

فالجـــواب: ماأثـر عن طلق بن حبيب رحمه الله حيث قال: (التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله). فجمع في هذه العبارات بين العلم، والعمل، واحتساب الثواب، والخوف من العقاب فهذه هي التقوى.

وإننـا نعلم جميعًـا أن الداعية إلى الله ـ عز وجل ـ أولى النـاس أن يتحـلى بهذا الخلق بتقوى الله في السر والعلن.

وإنني ذاكر بمعونة الله عز وجل في هذا المقام مايتعلق بالداعية ومايبنغي أن يتزود به:

*** الزاد الأول: أن يكون الداعية على علم فيما يدعو إليه،**

على علم صحيح مرتكز على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأن كل علم يتلقى من سواهما فإنه يجب أن يعرض عليهما أولاً وبعد عرضه فإما أن يكون موافقًا أو مخالفًا. فإن كان موافقا قُبل، وإن كان مخالفًا وجب ردُّه على قائله كائناً من كان، فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله وتقولون: قال أبو بكر وعمر**» إذا كان هذا في قول أبي بكر وعمر الذي يُعارض به قول رسول الله، ﷺ، فما بالكم بقول من دونهما في العلم والتقوى والصحبة والخلافة؟ إن ردَّ قوله إذا خالف كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، من باب أولى ولقد قال ـ عز وجل ـ: ﴿**فليحذر الذينَ يخالفونَ عن أمرهِ أن تُصيبَهُم فتنةُ أو يُصِيبَهُم عذابٌ أليم**﴾. [سورة النور، الآية: ٦٣]. قال الإمام أحمد رحمه الله: «أتدري ماالفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك».

وإن أول زاد يتزود به الداعية إلى الله عز وجل أن يكون

على علم مستمد من كتاب الله ومن سنة رسوله، ﷺ، الصحيحة المقبولة، وأما الدعوة بدون علم فإنها دعوة على جهل والدعوة على الجهل ضررها أكبر من نفعها لأن هذا الداعية قد نصب نفسه موجهاً ومرشداً فإذا كان جاهلاً فإنه بذلك يكون ضالاً مضلاً والعياذ بالله، ويكون جهله هذا جهلاً مركبًا والجهل المركب أشد من الجهل البسيط، فالجهل البسيط يمسك صاحبه ولايتكلم ويمكن رفعه بالتعلم، ولكن المشكلة كل المشكلة في حال الجاهل المركب إن هذا الجاهل المركب لن يسكت بل سيتكلم ولو عن جهل وحينئذ يكون مدمرًا أكثر مما يكون منورًا.

* **أيها الأخوة:** إن الدعوة إلى الله على غير علم خلاف ماكان عليه النبي، ﷺ، ومن اتبعه، استمعوا إلى قول الله تعالى آمرًا نبيه محمدًا، ﷺ، حيث قال: ﴿**قُل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني وسبحانَ اللهِ وماأنا من المشركين**﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٨]، فقال: أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، أي أن من اتبعه، ﷺ، فإنه لابد أن يدعو إلى الله على بصيرة لا على جهل.

* وتأمَّل أيها الداعية لله قول الله ـ تعالى ـ: ﴿على بصيرة﴾ أي على بصيرة في ثلاثة أمور:

* **على بصيرة فيما يدعو** إليه بأن يكون عالمًا بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه لأنه قد يدعو إلى شيء يظنه واجبًا وهو في شرع الله غير واجب فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به، وقد يدعو إلى ترك شيء يظنه محرمًا وهو في دين الله غير محرم فيحرم على عباد الله ماأحله الله لهم.

* على بصيرة في **حال الدعوة** ولهذا لما بعث النبي، ﷺ، معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب**». ليعرف حالهم ويستعد لهم. فلابد أن تعلم حال هذا المدعو مامستواه العلمي؟ ومامستواه الجدلي؟ حتى تتأهب له فتناقشه وتجادله، لأنك إذا دخلت مع مثل هذا في جدال وكان عليك لقوة جدله صار في هذا نكبة عظيمة على الحقِّ وأنت سببها، ولاتظنّ أن صاحب الباطل يخفق بكل حال فإن الرسول، ﷺ، قال: «**إنكم تختصمون إليَّ ولعلَّ بعضَكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو مما أسمع**» فهذا يدل على أن المخاصم وإن كان مبطلاً قد يكون

ألحن بحجتـــه من الآخــر فيُقضى بحسب ماتكلم به هذا المخاصم فلابد أن تكون عالمًا بحال المدعو.

* **على بصـيرة في كيفية الدعوة** قال الله تعالى: ﴿**ادعُ إلى سبيـل ربـك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادلهُم بالتي هي أحسن**﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٥]، .

* **وبعض الناس قد يجد المنكر فيهجم عليه**، ولايفكر في العواقب الناتجة عن ذلك لا بالنسبة له وحده، ولكن بالنسبة له ولنظرائه من الدعاة إلى الحق، لذا يجب على الداعية قبل أن يتحرّك أن ينظر إلى النتائج ويقيس، قد يكون في تلك الســاعـة مايطفي لهيب غيرته فيما صنع لكن سيخمد هذا الفعل نار غيرته وغيرة غيره في المستقبل، قد يكون في المستقبل القريب دون البعيد لهذا أحث أخواني الدعاة على استعمال الحكمـة والتأني، والأمر وإن تأخَّر قليلاً لكن العاقبة حميدة بمشيئة الله تعالى.

وإذا كان هذا أعني تزود الداعية بالعلم الصحيح المبني على كتـاب الله وسنـة رسـوله، ﷺ، هو مدلول النصوص الشرعية فإنه كذلك مدلول العقول الصريحة التي ليس فيها شبهات ولا شهوات، لأنك كيف تدعو إلى الله - عز وجل -

وأنت لاتعلم الطريق الموصل إليه، لاتعلم شريعته كيف يصح أن تكون داعية؟!

فإذا لم يكن الإنسان ذا علم فإن الأولى به أن يتعلَّم أولاً ثم يدعو ثانيًا: قد يقول قائل: هل قولك هذا يعارض قول النبي، ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»؟

فالجـواب: لا لأن الرسول، ﷺ، يقول: «**بلغوا عني**» إذًا فلابد أن يكون مانبلغه قد صدر عن رسول الله، ﷺ، هذا هو مانريده ولسنا عندما نقول إن الداعيّة محتاج إلى العلم لسنـا نقول إنه لابد أن يبلُغ شوطًا بعيدًا في العلم، ولكننا نقول لايدعو إلا بما يعلم فقط ولايتكلَّم بما لايعلم.

*** الزاد الثـاني: أن يكون الداعية صابرا على دعوته،** صابرًا على مايدعو إليه، صابرًا على مايعترض دعوته، صابرًا على مايعترضه هو من الأذى.

أن يكـون صابرًا على الدعوة أي مثابرًا عليها لايقطعها ولايمل بل يكون مستمرًّا في دعوته إلى الله بقدر المستطاع وفي المجالات التي تكون الدعوة فيها أنفع وأولى وأبلغ، وليصبر على الـدعـوة ولايمل فإن الإنسان إذا طرقه الملل استحسر وتـرك، ولكن إذا كان مثابـرًا على دعـوتـه فإنـه ينال أجر

الصابرين من وجه، وتكون له العاقبة من وجه آخر، واستمع إلى قول الله عز وجل مخاطبًا نبيه: ﴿**تلكَ من أنباءِ الغيب نوحيها إليكَ ماكنتَ تعلمُها أنتَ ولا قومُك من قبلِ هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين**﴾. [سورة هود، الآية: ٤٩]،

ولابد أن يكون الإنسان صابرًا على مايعترض دعوته من معارضات ومجادلات لأن كل إنسان يقوم داعيًا إلى الله ـ عز وجل ـ لابد أن يعارض: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدوًّا من المجرمين وكفى بربِّك هاديًا ونصيراً**﴾. [سورة الفرقان، الآية: ٣١]، فكل دعوة حقه لابد أن يقوم لها معارض، لابد أن يقوم لها ممانع، ومجادل فيها ومشكك، ولكن يجب على الداعية أن يصبر على مايعترض دعوته حتى لو وصفت تلك الدعوة بأنها خطأ أو أنها باطل وهو يدرك أنها مقتضى كتاب الله وسنة رسول الله، ﷺ، فليصبر على ذلك.

ولكن هذا لايعني أن الإنسان يصرّ على مايقول، ومايدعو إليه، وإن تَبيَّن له الحق، فإن الذي يصرُّ على مايدعو إليه وإن تبيَّن له الحقّ يشبه من قال الله فيهم: ﴿**يجادلونك في الحق بعدما تبيَّن**﴾، [سورة الأنفال، الآية: ٦]، والمجادلة في الحق بعد ماتبيَّن صفة مذمومة، وقد قال الله فيمن اتصف بها:

﴿ومن يُشَاقِقِ الرسولَ من بعد ماتبيَّنَ له الهدى ويتَّبع غيرَ سبيلِ المؤمنِين نولِّه ماتولّى ونُصْلِه جهنَّم وسآءت مصيراً﴾ . [سورة النساء، الآية: ١١٥]، فما يعترض دعوتك أيها الداعية إن كان حقًّا فالواجب عليك الرجوع إليه، وإن كان باطلاً فلا يثني عزمك عن المضي قدمًا في دعوتك.

* كذلك لابد أن يكون الداعية صابرًا على مايعترضه هو من الأذىٰ لأن الداعية لابد أن يؤذى إما بالقول وإما بالفعل، وهاهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أُوذوا بالقول وأُوذوا بالفعل اقرأ قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿كذلكَ مَاأتىٰ الذينَ من قبلهم من رسولٍ إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٢]. مارأيك فيمن يأتيه الوحي من ربه ويقال في وجهه إنـك ساحر أو مجنون؟ لاشك أنه يتأذَّى ومع هذا فالرسل صبروا على ماأُوذوا بالقول وعلى ماأُوذوا بالفعل؛ انظر إلى أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام كان قومه يمرون به وهو يصنع الفلك ويسخرون به فيقول لهم: ﴿إن تسخروا منّا فإنّـا نسخرُ منكم كما تسخرون. فسوفَ تعلمونَ من يأتيهِ عذابٌ يُخزيـهِ ويحـلُّ عليـهِ عذابٌ مقيم﴾. [سـورة هود،

الآيتان: ٣٨، ٣٩]. ولم يقتصر الأمر بهم على السخرية به، بل توعدوه بالقتل: ﴿قالوا لئن لم تنتهِ يانوح لتكوننَّ من المرجومين﴾. [سورة الشعراء، الآية: ١١٦]. أي من المقتولين رميًا بالحجارة، هنا تُوعد بالقتل مع تهديد بأنا قد رجمنا غيرك إظهارًا لعزتهم وأنهم قد رجموا آخرين وأنت منهم، ولكن هذا لم يثن نوحًا، عليه الصلاة والسلام، عن دعوته بل استمرّ حتى فتح الله بينه وبين قومه، وهذا إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، قابله قومه بالرفض بل شهّروا به بين الناس: ﴿قالوا فأتوا بهِ على أعينِ الناسِ لعلهُم يشهدون﴾. [سورة الأنبياء، الآية: ٦١].

ثم توعدوه بالإحراق: ﴿قالوا حرّقوهُ وانصروا آلهتكُم إن كنتم فاعلين﴾. [سورة الأنبياء، الآية: ٦٨]. فأوقدوا نارًا عظيمة ورموه بالمنجنيق لبعدهم عنها لشدة حرراتها ولكن قال رب العزة والجلال: ﴿قلنا يانارُ كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم﴾. [سورة الأنبياء، الآية: ٦٩]. فكانت بردًا وسلامًا ونجا منها، فكانت العاقبة لإبراهيم: ﴿وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين﴾. [سورة الأنبياء، الآية: ٦٩]. وهذا موسى عليه الصلاة والسلام توعده فرعون بالقتل فقال:

﴿ذروني أقتلْ موسى وليدعُ ربَّه إنّي أخافُ أن يبدِّل دينكم أو أن يظهرَ في الأرض الفساد﴾. [سورة غافر، الآية: ٢٦]. فتوعده بالقتل ولكن آخر الأمر كانت العقبى لموسى، عليه الصلاة السلام: ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾، [سورة غافر، الآية: ٤٥]. وهذا عيسى، عليه الصلاة والسلام، حصل له من الأذية ماحصل حتى رماه اليهود بأنه ابن بغي، وقتلوه على زعمهم وصلبوه ولكن الله تعالى يقول: ﴿وماقتلوهُ ومَاصلبوهُ ولكن شُبِّهَ لَهُم وإنَّ الذينَ اختلفوا فيهِ لَفي شكٍّ منهُ ماهم بهِ من علمٍ إلا اتِّباع الظن وماقتلوهُ يقينًا بل رفعهُ الله إليهِ وكان الله عزيزًا حكيمًا﴾ [سورة النساء، الآيتان: ١٥٧، ١٥٨]. فنجِّيْ منهم، وهذا خاتم الرسل وإمامهم وسيد بني آدم محمد، ﷺ، قال الله عنه: ﴿وإذ يمكرُ بكَ الذينَ كفروا ليثبتوكَ أو يقتلوكَ أو يخرجوكَ ويمكرون ويمكرُ الله والله خيرُ الماكرين﴾. [سورة الأنفال، الآية: ٣٠]. ﴿وقالوا ياأيها الذي نُزِّل عليه الذكرُ إنك لمجنون﴾. [سورة الحجر، الآية: ٦]. ﴿ويقولون أئنَّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾. [سورة الصافات، الآية: ٣٦]. وحصل من أذيتهم القولية والفعلية ماهو معلوم لدى العلماء في التاريخ ومع هذا صبر فكانت العاقبة له.

إذن فكل داعية لابد أن يناله أذىً ولكن عليه أن يصبر، ولهـذا لما قال الله ـ تعـالى ـ لرسوله، ﷺ: ﴿إنّا نحنُ نزَّلنا عليكَ القرآنَ تنزيلاً﴾، [سورة الإنسان، الآية: ٢٣]. كان من المتوقع أن يقول الله فاشكر نعمة الله على تنزيل هذا القرآن، ولكن الله قال له: ﴿فاصبرْ لحُكمِ ربك﴾. [سورة الإنسان، الآية: ٢٤]. إشارة إلى أن كل من قام بهذا القرآن فلابُدَّ أن ينـالـه مايناله من الأمور التي تحتاج إلى صبر عظيم، فعلىٰ الداعية أن يكون صبورًا وأن يستمر حتى يفتح الله له، وليس من الضروري أن يفتح الله له في حياته؛ بل إن المهم أن تبقىٰ دعوته بين الناس ناصعة متبوعة، ليس المهم الشخص ولكن المهم الدعوة فإذا بقيت دعوته ولو بعد موته، فإنه حي قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿أَو من كانَ ميتًا فأحييناهُ وجعلنا لهُ نورًا يمشي به في الناسِ كمن مثلهُ في الظلماتِ ليسَ بخارجٍ منها﴾. [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢]. ففي الحقيقة أن حياة الداعية ليس معناها أن تبقىٰ روحُه في جسمه فقط بل أن تبقى مقالته حيةً بين الناس، وانظر إلى قصة أبي سفيان مع هرقل وكان قد سمع بمخرج النبي، ﷺ، دعا أبا سفيان فسأله عن النبي، ﷺ، عن ذاته، ونسبه، ومايدعو إليه، وأصحابه فلما أخبره

أبو سفيان عما سأله عنه قال هرقل له: «إن كان ماتقول حقًّا فسيملك ماتحت قدمَيَّ هاتين». سبحان الله من يتصور أن ملكًا إمبراطوريًّا كما يقولون يقول مثل هذا القول في محمد، ﷺ، وهو مع ذلك لم يحرر جزيرة العرب من رقّ الشيطان والهوى، من يتصور أن مثل هذا الرجل يقول مثل هذا القول؟، ولهذا لما خرج أبو سفيان قال لقومه: «لقد أَمِر أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر»، «أَمِر» يعني عظم ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿لقد جئتَ شيئًا إمْرًا﴾[٢] أي عظيمًا.

وقد ملك النبي، ﷺ، ماتحت قدمي هرقل بدعوته لابشخصه، لأن دعوته أتت على هذه الأرض واكتسحت الأوثان والشرك وأصحابه، وملكها الخلفاء الراشدون بعد محمد، ﷺ، ملكوها بدعوة النبي، ﷺ، وبشريعة النبي، ﷺ، إذن على الداعيّة أن يصبر وستكون العاقبة له إذا كان صادقًا مع الله سواء في حياته أو بعد مماته.

﴿قال موسىٰ لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾. [سورة الأعراف، الآية: ١٢٨]. وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين﴾ [سورة يوسف، الآية: ٩٠].

* **الزاد الثالث: الحكمة** فيدعو إلى الله بالحكمة ومأمرٌّ الحِكمة على غير ذي الحكمة. الدعوة إلى الله بالحكمة، ثم بالموعظة الحسنة، ثم الجدال بالتي هي أحسن لغير الظالم، ثم الجدل بما ليس أحسن للظالم، فالمراتب إذن أربع. قال الله - تعالى -: ﴿**ادعُ إلى سبيل رَبِّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادلهُم بالتي هي أحسن**﴾. [سورة النحل، الآية: ١٢٥]. وقال - تعالى -: ﴿**ولا تُجادلوا أهلَ الكتابِ إلا بالتي هي أحسنُ إلا الذينَ ظلموا منهم**﴾. [سورة العنكبوت، الآية: ٤٦].

* إن الحكمة: **إتقان الأمور وإحكامها** بأن تنزل الأمور منازلها وتوضع في مواضعها، ليس من الحكمة أن تتعجّل وتريد من الناس أن ينقلبوا عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشية وضحاها. ومن أراد ذلك فهو سفيه في عقله بعيد عن الحكمة، لأن حكمة الله - عز وجل - تأبىٰ أن يكون هذا الأمر، ويدلك لهذا أن محمدًا رسول الله، ﷺ، وهو الذي ينزل عليه الكتاب نزل عليه الشرع متدرجًا حتى استقرَّ في النفوس وكمل. فرضت الصلاة في المعراج قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقيل سنة

ونصف، وقيل خمس سنين، على خلاف بين العلماء في هذا.. ومع هذا لم تفرض على وضعها الآن، أول مافرضت كانت ركعتين للظهر والعصر والعشاء والفجر وكانت المغرب ثلاثًا لأجل أن تكون وترًا للنهار، وبعد الهجرة وبعد أن أمضى رسول الله، ﷺ، ثلاث عشرة سنة في مكة زيدت صلاة الحضر فصارت أربعًا في الظهر والعصر والعشاء وبقيت صلاة الفجر على ماهي عليه لأنها تطول فيها القراءة وبقيت المغرب ثلاثًا لأنها وتر النهار.

والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة أو فرضت في مكة لكنها لم تقدر تقديرًا في أنصبائها وواجبها ولم يبعث النبي، ﷺ، السعاة لأخذ الزكاة إلا في السنة التاسعة من الهجرة فكان تطور الزكاة على ثلاث مراحل: في مكة ﴿**وآتوا حقَّهُ يومَ حصادِهِ**﴾[1]، ولم يبين الواجب ولامقدار مايجب فيه ذلك الواجب وجعل الأمر موكولاً إلى الناس، وفي السنة الثانية من الهجرة بينت الزكاة بأنصبائها. وفي السنة التاسعة من الهجرة صار النبي، ﷺ، يبعث السعاة إلى أهل المواشي والثمار لأخذها.

فتأمَّل مراعاة أحوال الناس في تشريع الله - عز وجل - وهو أحكم الحاكمين. وكذلك في الصيام لايخفي علينا أنه تطور في تشريعه فكان أول مافرض يخير الإنسان بين أن يصوم أو يطعم، ثم تعينَّ الصيام، وصار الإطعام لمن لايستطيع الصوم على وجه مستمر.

* أقول إن الحكمة تأبىٰ أن يتغير العالم بين عشية وضحاها فلابد من طول النفس، واقبل من أخيك الذي تدعوه ماعنده اليوم من الحق، وتدرج معه شيئًا فشيئًا حتى تنتشله من الباطل، ولايكن الناس عندك على حد سواء، فهناك فرق بين الجاهل والمعاند.

*** ولعل من المناسب أن أضرب أمثلة من دعوة الرسول ﷺ :**

* **المثال الأول**: دخل رجل أعرابي والنبي ، ﷺ ، جالس في أصحابه في المسجد فبال الأعرابي في طائفة من المسجد فزجره الناس - والزجر هو النهر بشدة - ولكن النبي ، ﷺ ، وهو الذي أعطاه الله - تعالى - من الحكمة نهاهم ، فلما قضى بوله أمر ﷺ أن يراق على بوله ذنوبًا من ماء - يعني دلوًا - فزالت المفسدة فدعا الرسول، ﷺ ، الأعرابي فقال له : «إن هذه

المساجد لايصلح فيها شيء من الأذى أو القذر إنما هي للصلاة وقراءة القرآن». أو كما قال، ﷺ، فانشرح صدر الأعرابي لهذه المعاملة الحسنة، ولهذا رأيت بعض أهل العلم نقل أن هذا الأعرابي قال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا. لأن محمدًا، ﷺ، عامله هذه المعاملة الطيبة أما الصحابة رضوان الله عليهم فسعوا في إزالة المنكر من غير تقدير لحال هذا الرجل الجاهل.

* **المثال الثاني**: معاوية بن الحكم - رضي الله عنه - جاء والنبي، ﷺ، يصلي بالناس فعطس رجل من القوم فقال الحمد لله - فإذا عطس أحد في الصلاة فليقل الحمد لله سواءً في القيام أو في الركوع أو في السجود - قال هذا الرجل: الحمد لله، فقال له معاوية: يرحمك الله، وهذا خطاب لآدمي يبطل الصلاة فرماه الناس بأبصارهم وجعلوا ينظرون إليه فقال معاوية: واثكل أُمِّياه - والثكل الفقد وهذه كلمة تقال ولا يراد معناها، وقد قالها النبي، ﷺ، لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - حين قال: **ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟** قال قلت: بلى يارسول الله. قال: كف عليك هذا أخذ بلسانه

وقـال: كفه عليك فقال معاذ - وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به قال: «**ثكلتك أمك يامعاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**». ثم مضى معـاوية - رضي الله عنه - في صلاته فلما أتمَّ الصلاة دعاه النبي ، ﷺ ، قال معاوية - رضي الله عنه - فوالله مارأيت معـلمًا أحـسن تعليمًا منـه - اللهم صلي وسلم عليه - والله ماكهـرني، ولانهرني وإنما قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح، والتكبير وقراءة القـرآن**». أو كما قال، ﷺ، انـظر إلى الـدعوة المحببة إلى النفوس يقبلها الإنسان وينشرح بها صدره.

ونأخذ من الحديث من الفوائد الفقهية: أن من تكلَّم في الصلاة وهو لايدري أن الكلام يبطل الصلاة فإن صلاته صحيحة.

* **المثال الثالث**: جاء رجل إلى النبي ، ﷺ ، فقال: يارسول هلكت. قال: «**ماأهلكك؟**». قال: وقعت على امرأتي في رمضان وأنا صائم. فأمره النبي ، ﷺ ، أن يعتق رقبة، فقال: لاأجـد، ثم أمـره أن يصـوم شهـرين متتـابعـين، قال: لاأستـطيع، ثم أمـره أن يطعم ستـين مسكينًا، فقـال:

لاأستطيع، فجلس الرجل. فأُتي النبي، ﷺ، بتمر فقال: خذ هذا فتصدَّق به. ولكن الرجل طمع في كرم النبي، ﷺ، الذي هو أعظم كرم لمخلوق، فإن رسول الله، ﷺ، أكرم الناس فقال الرجل أعلىٰ أفقر مني يارسول الله، والله مابين لابتيها أهل بيت أفقر مني، فضحك النبي، ﷺ، حتى بدت أنيابه أو نواجذه. لأن هذا الرجل جاء خائفًا يقول: «هلكت» فذهب غانمًا فقال النبي، ﷺ: **«أطعمه أهلك»** فذهب الرجل مطمئنًا غانمًا فرحًا بهذا الدين الإسلامي، وبهذا اليسر من الداعية الأول لهذا الدين الإسلامي صلوات الله وسلامه عليه.

* **المثال الرابع**: ولننظر كيف عامل النبي، ﷺ، مرتكب الإثم: رأي النبي، ﷺ، رجلاً وفي يده خاتم ذهب فنزعه النبي، ﷺ، بيده الكريمة وطرحه في الأرض وقال: **«يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيضعها في يده»**. فالنبي، ﷺ، لم يعامله معاملة الأولين بل نزعه من يده وطرحه في الأرض، فلما انصرف النبيُّ، ﷺ، قيل له خذ خاتمك انتفع به فقال: والله لا آخذ خاتمًا طرحه النبي، ﷺ، الله أكبر هذا الامتثال العظيم من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

المهم أنه يجب على الداعية أن يدعو إلى الله ـ عز وجل ـ بالحكمة فليس الجاهل كالعالم وليس المعاند كالمستسلم، فلكل مقام مقال ولكل منزلة حال.

* **الزاد الرابع : أن يتخلق الداعية بالأخلاق الفاضلة** بحيث يظهر عليه أثر العلم في معتقده، وفي عبادته، وفي هيئته، وفي جميع مسلكه حتى يمثل دور الداعية إلى الله، أما أن يكون على العكس من ذلك فإن دعوته سوف تفشل وإن نجحت فإنما نجاحها قليل.

فعلى الداعية أن يكون متخلقًا بما يدعو إليه من عبادات أو معاملات أو أخلاق وسلوك حتى تكون دعوته مقبولة وحتى لايكون من أول من تسعّر بهم النار.

* **أيها الأخوة**: إننا إذا نظرنا إلى أحوالنا وجدنا أننا في الواقع قد ندعو إلى شيء ولكننا لانقوم به وهذا لاشك أنه خلل كبير، اللهم إلا أن يحول بيننا وبينه النظر إلى ماهو أصلح لأن لكل مقام مقالاً. فالشيء الفاضل قد يكون مفضولاً لأمور تجعل المفضول راجحًا ولهذا كان الرسول، ﷺ، يدعو إلى بعض الخصال ولكنه يشتغل أحيانًا بما هو أهم منها، وربما

يصوم حتى يقال لايفطر، ويفطر حتى يقال لايصوم.

* **أيها الأخوة:** إنني أريد من كل داعية أن يكون متخلقًا بالأخلاق التي تليق بالداعية حتى يكون داعية حقًّا وحتى يكون قوله أقرب إلى القبول.

* **الزاد الخامس أن يكسر الداعية الحواجز التي بينه وبين الناس** لأن كثيرًا من إخواننا الدعاة إذا رأىٰ قومًا على منكر قد تحمله الغيرة وكراهة هذا المنكر على أن لايذهب إلى هؤلاء ولاينصحهم، وهذا خطأ وليس من الحكمة أبدًا؛ بل الحكمة أن تذهب وتدعو، وتبلغ وترغب، وترهب ولاتقل هؤلاء فسقه لايمكن أن أمشي حولهم. إذا كنت أنت أيها الداعية المسلم لايمكن أن تمشي حول هؤلاء ولا أن تذهب إليهم لدعوتهم إلى الله فمن الذي يتولاهم؟ أيتولاهم أحد مثلهم؟ أيتوالهم قوم لايعلمون؟ أبدًا ولهذا ينبغي للداعية أن يصبر، وهذا من الصبر الذي ذكرناه سابقًا أن يصبر نفسه ويكرهها وأن يكسر الحواجز بينها وبين الناس حتى يتمكن من إيصال دعوته إلى من هم في حاجة إليها، أما أن يستنكف فهذا خلاف ماكان الرسول، ﷺ، يفعله، والنبي، ﷺ، كما هو معلوم كان يذهب في أيام منى إلى المشركين في أماكنهم

ويدعـوهـم إلى الله وقد أُثر عنه أنه، ﷺ، قال: «**ألا أحد يحملني حتى أبلغ كلام ربي فإن قريشًا منعتني أن أبلغ كلام ربي**». فإذا كان هذا دأب نبينـا، وأمـامنا، وقدوتنا محمدٍ، ﷺ، فإنه من الواجب علينا أن نكون مثله في الدعوة إلى الله.

* **الزاد السادس: أن يكون قلب الداعية منشرحا لمن خالفه** لاسيما إذا علم أن الذي خالفه حسن النية وأنه لم يخالفه إلا بمقتضى قيام الدليل عنده، فإنه ينبغي للإنسان أن يكون مرنًا في هذه الأمور وأن لايجعل من هذا الخلاف مثارًا للعداوة والبغضاء اللهم إلا رجل خالف معاندًا بحيث يبين له الحق ولكن يصر على باطله فإن هذا يجب أن يعامل بما يستحق أن يعامل به من التنفير عنه وتحذير الناس منه لأنه تبين عداوته حيث بين له الحق فلم يمتثل.

* **وهناك مسائل فرعية** يختلف فيها الناس وهي في الحقيقة مما وسع الله فيه على عباده ـ وأعني مسائل ليست من الأصول التي تبلغ إلى تكفـير المخالف ـ فهذه مما وسع الله فيها على العباد وجعل الخطأ فيها واسعًا، قال النبي، ﷺ: «**إذا حكم الحـاكم فاجتهـد فأصـاب فله أجـران وإن أخطأ فله أجر**

واحد». فالمجتهد لايخرج عن دائرة الأجر أبدًا فإما أجران إن أصاب، وإما أجر واحد إن أخطأ، وإذا كنت لاتريد أن يخالفك غيرك فإن غيرك أيضًا يريد أن لايخالفه أحد، فكما أنك تريد أن يأخذ الناس بقولك، فالمخالفون لك يريدون أيضًا أن يأخذ الناس بقولهم، والمرجع عند التنازع مابيَّنه الله ـ عز وجل ـ في قوله: ﴿وَما اختلفتُمْ فيه من شيءٍ فحكمه إلى الله﴾ [سورة الشورى، الآية: ١٠]. ويقول ـ عز وجل ـ: ﴿فإن تنازعتم في شيءٍ فردّوه إلى اللهِ والرسولِ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٩]، فيجب على كل المختلفين والمتنازعين أن يرجعوا إلى هذين الأصلين كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، ولايحلّ لأحد أن يعارض كلام الله ورسوله بكلام أحد من البشر مهما كان، فإذا تبيَّن لك الحق فالواجب أن تضرب بقول من خالفه عُرض الحائط، وأن لاتلتفت إليه مهما كانت منزلته من العلم والدين، لأن البشر يخطىء لكن كلام الله ورسوله ليس فيه خطأ.

* ويؤسفني أن أسمع عن قوم يعتبرون جادّين في طلب الحقّ والوصول إليه ومع ذلك نجدهم متفرقين، لكل واحد

منهم اسم معين أو وصف معين، وهذا في الحقيقة خطأ، إن دين الله - عز وجل - واحد، وأمة الإسلام واحدة يقول الله - عز وجل -: ﴿وإنّ هذه أمتُكم أمةً واحدةً وأنا ربُكم فاتقون﴾[سورة المؤمنون، الآية: ٥٢]. ويقول الله - سبحانه وتعالى - لنبيه محمد، ﷺ: «إنّ الذينَ فرقوا دينَهمْ وكانوا شيعًا لستَ منهم في شيءٍ إنّما أمرهُم إلى اللهِ ثم ينبئهُم بما كانوا يفعلون﴾. [سورة الأنعام، الآية: ١٥٩]. وقال - عز وجل -: ﴿شرعَ لكم من الدين ماوصّى بِهِ نوحًا والذي أوحينا إليكَ وَماوصّينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ أنْ أقيموا الدينَ ولاتتفرّقوا فيه﴾، [سورة الشورى، الآية: ١٣]. فإذا كان هذا توجيه الله - عز وجل - لنا فالواجب علينا أن نأخذ بهذا التوجيه، وأن نجتمع على بساط البحث، وأن يناقش بعضنا بعضًا على سبيل الإصلاح لا على سبيل الانتقاد أو الانتقام، فإن أي إنسان يجادل غيره ويحاجّ بقصد الانتصار لرأيه واحتقار رأي غيره أو لقصد الانتقاد دون الإصلاح فإن الغالب أن يخرجوا على وجه لايرضي الله ورسوله، فالواجب علينا في مثل هذا الأمر أن نكون أمة واحدة، وأنا لا أقول إنه لايخطىء أحد، كل يخطىء، ويصيب، ولكن الكلام في

الطريق إلى إصلاح هذا الخطأ، ليس الطريق إلى إصلاح الخطأ أن أتكلم في غيبته وأقدح فيه، ولكن الطريق إلى إصلاحه، أن أجتمع به وأناقشه فإذا تبين بعد ذلك أن الرجل مصرّ على عناده، وعلى ماهو عليه من باطل فحينئذٍ لي العذر ولي الحق بل يجب عليّ أن أبين خطأه، وأن أحذر الناس من خطئه، وبهذا تصلح الأمور، أما التفُّرق والتحزُّب فإن هذا لاتقرُّ به عينُ أحد، إلا من كان عدوًّا للإسلام والمسلمين، والله أسأل أن يجمع قلوبنا على طاعته وأن يجعلنا من المتحاكمين إلى الله ورسوله وأن يخلص لنا النية ويبين لنا ماخفي علينا من شريعته إنه جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.


الفهرس

الجمع التصويري والإخراج ـ الفرقان ٤٠٢٩٨٦٥ ـ ٤٠٤٣٧٣٢

يطلب من:
مؤسسة الجريسي للتوزيع
الرياض ١١٤٣١ ـ ص.ب: ١٤٠٥
☎ ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٣٩٣٢٨
جـدة: ☎ ٦٨٢٦١٠٥ ـ الدمام: ☎ ٨٢٦٠٤٣٧
المدينة: ☎ ٨٣٨٠٥٢٩ ـ القصيم: ☎ ٣٦٤٣٤٦٦
أبـها: ☎ ٢٢٢٠٤٨٥

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ ـ ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض



مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ – ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض